نيقوس كزانتزاكيس في حياته وروايته

يقلم نقولا يوسف

ما زال الاديب اليوناني الكبير ــ « نيقوس كزانتزاكيس » محتفظا بمكانه على رأس القائمة التي تضم كتاب القصة الحديثة اليونانية ، المنتقلة الى المسارح العالمية ، وقد يليه هنا من مواطنيه القصاص « اليا فيريس » او رصيفه « ميرفيليس » ، وقد يضارعه في الصفوة الشعرية « سيفيريس » ــ الفائز بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٣ ــ وكان كزانتزاكيس مرشحا لهذه الجائزة قبيل وفاته عام ١٩٥٧ .

وكانت حياة كزانتزاكيس ، ملحمة تمثل الصراع في مختلف اشكاله ــ صراعا بين روحه وجسده ، وصراعا بين آرائه المتحررة وبين الآراء المحافظة ، وبين مثله واحلامه وبين الواقع وسلطانه ... وكان امر ما فيها خاتمتها ــ فقد عاش فقيرا حواف الاملاق ، وما ان مات حتى اقبل القراء على قصصه فترجمت الى شتى اللغات ، وانقلب الاعداء القادحين الى ممجدين مادحين .. واخرجت هوليود الى الشاشة روايتيه « الحرية او الموت » و « زورباس » ... وانهال المال على ارملته التي شاركته العوز والافلاس ــ فدارت على الملاجىء والمعاهد تهبها العطايا في ذكراه .

ولا شك أن روح الكفاح الذي سطر على حياته وقصصه وأشعاره ، كان وليد تلك البيئة الجبلية المناضلة ، وهو من ولد عام ١٨٨٥ بجزيرة كريت (اقريطش) كبرى الجزر اليونانية بالبحر المتوسط ــ وبها امضى صباه ومطلع شبابه ، وظل وفيا لها طيلة حياته ، ورأده اغترابه المديد عنها حنينا وشوقا اليها ... وكانت صورها وذكرياتها ، وكفاحها وثوراتها ، مصادر الهاماته في شعره ورواياته ــ حتى نقل اليها ليدفن في ثراها بعد وفاته ...

فطالما كانت هذه الجزيرة هدفا لغزوات الفاتحين والمستعمرين ــ من رومان وصليبية وترك فالمان في الحرب العالمية الأخيرة .. وكان قصاصنا قد شهد في حداثته خواتم الصراع بين اهله ومواطنيه وبين الترك الغزاة ــ بعد ان دام نحو ثلاثة قرون ــ عادت بعدها الجزيرة عام ١٩١١ الى أمها يونان ، كما كانت في اقدم الزمان .

ولا عجب اذا كان المسرح الذي تمثل عليه أحداث قصتيه الكبيرتين « الكسيس زورباس » و « القطان مخاليس ــ الحرية او الموت » ، هو تلك الجزيرة المناضلة

من اجل حريتها .. وصحيح انه يحب السلام وينادى بالاخاء ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يحب الاستسلام والاعتداء ـ فصور فى هاتين القصتين الصراع المرير بين الحرية والحياة وبين العبودية والموت .. وفى مؤلفات اخرى يبدو الصراع فى صور معنوية ـ كالصراع بين الروح والجسد ، وبين المثل العليا والواقع السفلى ، وبين الراى المتحرر المطلق ، والاخر الرجعى المقيد ـ كما نرى فى قصتيه الشهيرتين « المسيح يعاد صلبه » و « التجربة الاخيرة » ، وفى « مسكين الله ـ فرنسيس الاسيسى » ، وفى ملحمة « الاوديسة » (العصرية) ، ومسرحية « جوليان الكافر » وفى كتابه « خطاب الى الجريكو » .. لم ما يسود قصصه من صراع بين حق الفن وحق النص ..

لم انك اذا استعرضت مؤلفاته الستين ـ ومنها عشر روايات ، وثماني عشرة تمثيلية ، وست كتب فى الرحلات ، وثلاثة فى الفلسفات ، وديوان شعرى ، وملحمة « الاوديسية » ، وكتب النقد والمقالات ، وكتب للاطفال ، غير رسائله الخاصة ، وترجماته الكبرى ، اخذتك تلك الشاعرية الرقيقة ، وتلك التصوير الدقيقة ، والانسانية دائما والصوفية احيانا ـ مما يمتاز به هذا الناحت الادبى الموهوب حيث تمزج القصة بالشعر ، والرحلة بالتصوير ، والدين بالفلسفة ـ وعادت بك الذاكرة ولا شك الى ما قرأته او شاهدته من صور تلك الجزيرة فى ماضيها وحاضرها ـ وهى الصور التى نسا بينها هذا الفنان فهيمنت على مخيلته ولازمته بقية حياته .. فشمت الجبال الصخرية الشامخة ، والتلال المكسوة بالصنوبر يعلوها حبل « مدارومس » المطل على مدينة « فنديه » .. والبقاع الحمراء والمراعى الخضراء .. واشجار الفاكهة والكروم واحراج الزيتون .. والخلجان الكثيرة المنعرجة السواحل ، وكانت منذ قديم مراقىء للسفن المتاجرة مع مصر وبونان والشام .. ثم تلك الاطلال المبعثرة فى انحاء الجزيرة تتحدث عن حضارة عريقة وشعب عرف الكتابة بالرموز ، ونبغ فى فنون النحت والتصوير والعمار .. ومن مدينة « كنوسوس » التى جعلها « مينوس » مقرا لملكه وقصوره قبل حرب تروادة ـ الى ان اندمجت كريت عام ١٥٠٠ قبل الميلاد فى اليونان وحضارتها ولغتها .. وحتى دخلت فى حوزة الرومان عام ٦٨ ق . م .

وفى هذا الجو المسحور ، ولدت من الاساطير والحكايات ما يثير خيال الشاعر القصاص .. فهذه اسطورة تقول بان « زيوس » كبير الآلهة شب فى كريت قبل أن يتربع على عرش الاولمب .. وانه هنا ظهرت المدن المئة التى تغنى بها هوميروس .. وان فى مدينة « كنوسوس » ايام الملك « مينوس » شيد الفنان « ديد الوس » قصر « اللابرنت » ليحبس فى متاهته الوحش « مينوتور » فلما غضب عليه الملك صنع لنفسه ولابنه « ايكاروس » اجنحة تلتصق بالشمع فى الجسد ، وطارا بها عبر البحر .. وان شاعر كريت وقتها « ابيمينيدس » ـ من القرن السادس قبل

الميلاد ـ ارسله ابوه وهو صبي ليبحث عن خروف ضال فالجاه التعب الى كهف نام فيه سبعا وخمسين سنة ولما استيقظ وعاد الى بلده وجد أحفاد الاصغر شيخا .. وانه كان يوبخ اهل وطنه حين مالوا الى الكذب والجشع ، مما استشهد به بولس في رسالته الى « تيطس » في الانجيل حين ارسله ليبشر كريت بالدين الجديد ..

* * *

وسط هذه الصور والذكريات ، ولد « نيقوس كزانزاكيس » ، ونشب وتلقى تعليمه الاول . قبل ان ينتقل الى اثينا عام ١٩١٠ ليدرس القانون في جامعتها . ويتعرف الى اوساطها العلمية والادبية ، ويتقن بعض اللغات الاوربية . ويكتب في الصحف ويراسلها .. وينشر قصته « انبياء المعلم » عام ١٩١١ وكان قد سبقتها قصته : « حمة ورفيقه » عام ١٩٠٦ . ويقرأ نتشه وبتائر فيتعالمه عن ارادة القوة والسوبرمان ، ويترجم الى اليونانية كتابه « هكذا تكلم زرادشت » ويكتب عنه المقالات .. كما يدرس « جوته » ويترجم روايته « فاوست » ، ويقرأ دانتي ويترجم كوميديته السماوية .. ويهتم من الادب الاغريقي وفلسفات اليونان وبخاصة اشعار هوميروس ، ويعظم مثله ملحمة عصريه سماها « الاوديسة » في اكثر من ثلاثين الف بيت شعري .. وتصطدم آراؤه مع عقائد المحافظين ..

وكان قد تعرف الى الكاتبة اليونانية « غلانيا كزانزاكيس » وكانت تنشر القصص ، وتهتم بالطفولة والمسائل النسوية ، وتروحنا ـ ولكنهما لم يتفقا في الرأي والعقيدة ، مما ادى الى افتراقهما . ولكنها ظلت الى آخر حياتها تتلقب باسمه وتضعه على مؤلفاتها ـ ومنها « الطيور الجريحة » ـ ١٩٢٥ و « نساء ورجال » ١٩٣٥ ...

وفي مايو ١٩٢٤ عرف كزانزاكيس في كريت ، شريكة حياته « هيلين » وتزوجها وكان قد أشرف على الاربعين وكانت في التاسعة والعشرين ـ فعاشت معه في وفاء وصداقة بقية حياته . ولم تزل تجمع آثاره وتدير اعماله بعد وفاته .. وارتحلت معه عقب زواجهما في رحلتهما الاولى خارج الوطن : الى فلسطين عام ١٩٢٤ ومنها دهما الى روسيا ، والى الهند والصين واليابان ..

وكان كزانزاكيس رحالة بحوب الآفاق ، ورودته اسفاره الطويلة المتعددة في اقطار الشرق والغرب بالخبرة الواسعة . وبمعرفة الشعوب ، وملأت قلبه بحب الانسانية قاطبة ، ومحت في نفسه التعصبات كافة ، وطهرته من التشوية التي اعتقتها في الشباب . الى الرحمة والايثار والاخاء العام ـ وقد زار فرنسا وايطاليا ، واسبانيا والجزائر وروسيا ، ومصر وفلسطين ، والهند واليابان والصين ، وطاف ببعض الاقاليم الافريقية .. كما تنقل بين اليونان وكريت وحرر بحر ايجه ـ واعتكف فترة بجزيرة « ايجنا » الصغيرة ليكتب وينظم .. ومات بلندن « انتيب » على ساحل الريفيرا الفرنسية .. وكان يرسل الى الصحف مشاهداته في البلاد ، وينشر

الكتب فى ادب الرحلات .. فكتب عن برجسون وفلسفته يوم عرفه باريس . ونشر عام ١٩٢٧ كتابا بعنوان « رحلات » ، وآخر عن رحلته بانجلترة طبع عام ١٩٤٥ ، وكتابا عن اليابان طهر قبل وفاته عام ١٩٥٧ — وطبع خمس مرات .. وله مؤلف عن رحلته بمصر وسيناء وافريقيه وفلسطين ، وآخر عن الصين ..

وحدث عندما كان ببلاد اليونان عام ١٩٤٦ أن دعوه الى ميدان السياسة ، فراس المجلس الاعلى للحزب الاشتراكى ، وعين وزيرا للتعليم فى وزارة « باباندريو » الديمقراطية .. ولكنه ما لبث ان احس تيار السياسة والحزبية يجرفه بعيدا عن الفن الذى كرس له حياته ، فترك السياسة واحزابها ورحل عام ١٩٤٧ مع زوجته « هيلين » الى فرنسا ، ولم يعد الى بلاده منذ ذاك الحين ، وفى فرنسا اسندت اليه « هيئة اليونسكو » الاشراف على ترجمة بعض المؤلفات ولكنه ما لبث ثانية ان هجر المناصب وتفرغ الى يوم وفاته الى وضع المؤلفات والقصص التى طار بها صيته وذاع اسمه فى انحاء الارض ..

وكانت خاتمة المطاف فى بيت فقير ببلدة « انتيب » الصغيرة الهادئة على ساحل الريفيرا جنوبى فرنسا ، حيث امضى الفترة الاخيرة من حياته حتى يوم وفاته فى عام ١٩٥٧ شيخا فى الثامنة والسبعين ، وحيث كان يكتب ويملى على زوجته كتاباته الاخيرة ..

ولكن كزانتزاكيس ما لبث ان ترك صومعته وقلمه فى « انتيب » ، وودع بها الحياة كلها فى خريف ١٩٥٧ .. وخلف مخطوطاته ورسائله وذكرياته بين زوجته — الانسانه الوحيدة التى احبته فى حياته وبعد موته ، وعاشت معه ثلاثا وثلاثين سنة كانت فيها موضع حبه واحترامه وثقته .. ونقلت جثمانه فى مستقل راسه « كريت » ..

واما قصته « الحرية او الموت » واسمها الاصلى : «القبطان ميخالس » وقد قراها الكثيرون مترجمة الى عدد من اللغات ومنها ترجمة « جوائزت جريفين » الى الانجليزية عام١٩٥٦ ، او راوها على شاشة السينما ، فقد قالها كبار النقاد باعجاب ، وقال ناقد المانى : « انها قصة الانسان فى صراعه الابدى من اجل حريته ، وكانما كانت مناصرها محفورة فى الصرابيت او منقوشة على جدار كهف ، واذا كانت كل قصة شطرا من الدنيا فهذه القصة دنيا باسرها ! »

وفى اسلوب قوى متدفق يصور كزانتزاكيس كفاح تلك الشراذم من الفلاحين والعاديين والملاحين ، المسلحين بالاسلحة البدائية ، والثائرين فى وجه قوات الامبراطورية العثمانية ، يبارلونها فى معارك وحشية ، باذلين الجهد والارواح .. بتخللها صور انسانية رقيقة ، وعرض لنفسيات الكثير من الشخصيات المختلفة الاشكال والاعمار والمذاهب والاجناس — من ملاحين ومدرسين ، وقسوس وفلاحين ، واتراك ويونانيين ، ويهود ومسيحيين — وتمر تلك الاسماء الكثيرة — التى تعيش معا

فى تلك الجزيرة .. وها هو الربان ميخاليس والعمة كاترينه ، ومصطفى بابا واميته ، وديمتروس ورمضان ، وفوتيوس وسليمان ، ونورى بك وكورماس ، واسطفان والقبطان سماكاس .. وكلهم احياء امامك يتحدثون ويردون ، والاحداث تمر بهم فى صورة عريضة واسعة هى صورة الدنيا باسرها .. وفى النهاية يتساءل الربان ميخاليس ـ الذى سميت القصة باسمه ـ وهو يسير الى المعركة لاخيرة الميئوس منها ، والتى يعرف انه لن يكسبها ـ اهى الحرية او الموت ؟ ـ وكانت هى صيحة القتال لكل محارب ثم كانت هى صيحة « ميخاليس » حين يحدق به ويقتل ..

وكان كزانزاكس ـ كما يقول ناقد آخر يفضل كتابة ذلك النوع من التاريخ الذى يصنعه الله والانسان والشيطان ، ويشهد على قارئه لانه يسمع على شخصياته ـ حتى فى لحظة الموت ـ انتفاضة الحياة ..

كذلك كانت قصته ! « حياة الكسيس زوربا » أو « زوربا الاغريقى » ـ التى نشرت باليونانية عام ١٩٤٦ وترجمت اخيرا الى بعض اللغات ، ثم ظهرت على شاشة السينما ، رواية كريتية كبيرة ، تعرض فى شخصيتى رئيسيتين ، فلسفة الثقافة عند الرجل البسيط كما يعمل التاريخ عادة مع شخصياته .. وتصور الصراع بين عقليتى الرجل المفكر المثقف وبين العقل البطىء الذى يكتفى العالم باصحابه .

ويستوحي كزنزاكيس قصة السيد المسيح في اطارها القديم المعروف ، وروايته التي سماها « التجربة الاخيرة » ـ ويقصد بها التجربة التي حدثت للسيد المسيح حين التقى به الشيطان ، وعرض عليه امجاد العالم ومفاتنه ليطعمه ، ترفضها جميعا ، وانتصرت روحه على مغريات الدنيا ـ غير ان كزنزاكيس ارخى العنان لخياله في بعض الوقائع ، فاضاف وبدل وفسر والف بعض الشخصيات التاريخية ادوارا جديدة ، وقال انها قصة انسان مكافح لا ترجمة لحياة ، وانه كان حتما عليه ان يكتبها هكذا .

وذكر في المقدمة ان طبيعة المسيح الثنائية ـ اي طبيعاه السماوية والبشرية ـ كانت له سرا مستغلقا ، فصورهما في قصته صراعا بين الروح والجسد . ومع ذلك فلم يسلم من غضب المحافظين من رجال الدين وغيرهم ، فشنوا عليه حملة شعواء واستعانوا بحكومة بلاده فسحبت ترشيحها له لجائزة نوبل ، واحل الترشيح حتى هذا العاصفة . ولكنه مات قبل ان يفوز بالجائزة ، وقبل ان يعود اكثر اعدائه الى فهمه وتكريمه .. وكان باب النقاش قد طال ممتوحا حول قضية الصراع بين حق الفن وحق التاريخ ، ومدى حرية الفنان في التصرف بالحوادث التاريخية ـ ولقد مارس اهل الفن منذ القديم من قصاصين وشعراء ومصورين ، هذه الحرية في فكراتهم الفنية ـ والامثلة لا تعد ولا تحصى ـ وتجاوز النقاد عن تصرفهم ما داموا يدورون في فلك الواقع التاريخي الصحيح ، ولكن ما اثار هؤلاء النقاد على قصة كزنزاكيس هذه ، وعلى قصته « المسيح يعاد صلبه » ، وكتابه عن القديس فرنسيس الاسيزي هو ما انكره خياله من وقائع لم ترد في النصوص التي يرون التمسك بحرفها ..

فهو بدأ قصته « التجربة الاخيرة » بتصوير السيد المسيح وهو يتدرب في دكان يوسف النجار ، وهناك يصنع صليبا من الخشب سوف يصلب عليه قائد « المقاتلين » فيكرمه اهل القرية ، ولكنه لا يرضى عما صنع ويهجر الدكان والناس ، ويخرج الى البرية ويلجأ الى دير ، ويعرف رئيس الدير قبل ان يموت ان هذا الشاب هو « المسيح المنتظر » . وعندما يخرج ويعلم الجموع ان يحبوا بعضهم بعضا ، ويلقن يهودا الحداد ، يرى يهودا انه حالم وانه عندما قال المسيح « انى سأخلصكم » كان يقصد الخلاص من الرومان ، ويجعل كزنزاكيس من يهودا عضوا في جماعة « الاخوان القديسين القتلة » ـ وكان مكلفا بقتل السيد المسيح لتسامحه مع الرومان .. ويكتب المؤلف عن لسانه « الهي الهي لماذا تركتني » ؟ عشر صفحات ـ وفي النهاية يخرج القارىء من هذه القصة اكثر اعجابا بشخصية المسيح وكفاحه مما يخرج من المؤلفات المشهورة التي صوره فيها ـ كل بطريقته الفنية الخاصة ـ ملتون ، وبابيني ، وريمان ، واميل لدفيج وجبران ..

ولا تصور رواية « المسيح يعاد صلبه ـ او يصلب من جديد » حياة السيد المسيح ـ كما قد يفهم من عنوانها ، وان كان كزنزاكيس استعار مواقف بعض الشخصيات التي كانت تحوط بالمسيح في حياته في سياق قصته الحديثة .. وهي

قصة الصراع بين الخير والشر . ومسرحها قرية يونانية في عهد الاحتلال التركي . وفيها كما في غيرها قلوب طيبة وأخرى خبيثة .. ويحتشد امامك هذا الخليط من الرجال والنساء على مختلف اشكالهم ومفاهيمهم .. ويشاء اهل القرية ان يحتفلوا بعيد القيامة وذلك بتمثيلية تصور حياة المسيح ، يقوم بادوارها عدد من أهل القرية .. واختاروا لكل دور ما يناسبه من الخلق.. فعهدوا بتمثيل دور المسيح الى الشاب الطيب القلب « مانولو » ، ودور يهوذا الى رجل سيىء الطبع ، ودور مريم المجدلية الى حسناء مستهترة .. وهكذا على أن يعهدوا امرهم الى يوم الحفل بعد بضعة أشهر .. ويرداد اثر هذه الادوار على ممثليها ، فيصبح « مانولو » الشاب التقي الصالح ، ونجمه أحدى الفتيات ولكنه مشغول عن الحب فتروح راعيا للغنم ، وتقع الحسناء المستهترة في حب « مانوليو » وتتبدل حياتها وتعيش في النقوى .. واما حاكم القرية فرجل تركي قاس ، يقتل أحد أعوانه غلام الحاكم المملوك ، ويتهم يوناني بريء بقتله فيشنقه ويحرق جسده وسط القرية .. واما قسيسها فرجل سمين جشع مقبل على الدنيا يعاونه آخر طيب صالح .. ويقبل على القرية جماعة من اللاجئين فيطردون الى الجبال ، ويذهب الهم نائح فقير متحول ليودع عليهم ما معه من امشاط وشرائط تسعد بها الفتيات المعدمات .. ويكون نصيب مانوليو الطيب ، التعذيب والقتل .. الى آخر تلك الصور المحتشدة والمتصارعة بين الخير والشر .. وهنا تبدو براعة كزنزاكيس في التصوير والتحليل وقوة الاسلوب ، الى حد ان يقول عنها توماس مان : « ان هذه القصة ولا شك عمل قائم على نظام فني عال ، شكلته يد رفيقة ثابتة ، وبنته في قوة ديناميكية .. » ويذكر جون لهمان : « انها قصة العقل والحكمة والذكاء .. » في حين يقول شفيتزر : « انني منذ الشباب لم يترك مؤلف اثرا عميقا في نفسي كما ترك كزنزاكيس » .

وعندما كان « كزنزاكيس » بايطاليا يطوف بمدنها وآثارها ، ذهب الى مدينة « اسيس » التي نشأ بها الراهب « القديس فرنسيس الاسيسي » والمتوفى عام ١٢٢٦ م .. وزار قبره ودرس سيرته وتعاليمه ؛ واخذته صورة هذا الشاعر الراهد المعدم الذي أحب الانسان والحيوان والطير والنبات — الى حد تسميتها باخي الحصان واختي الشجرة .. ووضع كزنزاكيس عنه كتابا يجمع بين القصة القصيرة والسيرة ، والرحلة والشعر والفلسفة ، وسماه « مسكين الله » .. وذكر في مقدمته : « اذا كنت قد تحطيت الكثير من أعمال فرنسيس الاسيسي ، أو بدلت في اشياء أخرى ، او اضفت أعمالا لم يصنعها ، فاني لم أفعل هذا عن جهل او قلة احترام ، بل عن حاجة اصل بها بين حياته الحقيقية وحياته المجازية .. » .

وقد تحيره كزنزاكيس من بين صفحات التاريخ الدموي ، وصوره لابسا رداء الفن ، واهدى كتابه الى « البرت سفيتزر » الذي اعتبره فرنسيس العصر !!

وكانت قصة فرنسيس قصة المحبة والرحمة والسلام ، في حين كانت قصته

« الرباط ميخالس » قصة الحرية أو الموت ـ الأولى كفاح الانسان من أجل السلام والمحبة والاخاء ، والثانية كفاحه من أجل الحرية والعدالة والمساواة . .

وفي قصته يصورها الفنان جياشين ، ويسبح عليها جو عصره ، من دون أن يبعدنا عن دنيا الحقيقة التي تعيش فيها ، يصور لنا كزنزاكيس ذلك الراهب المتقشف العالم الداعي الى المحبة والسلام ، والمعارض في أسلوب حياته ما يدعو اليه ـ في صورة فنية محببة الى قلوبنا جميعا . .

وأصدر كزنزاكيس عام ١٩٢٨ ملحمة شعرية ـ أو قصة فلسفية ـ في اربع وعشرين أغنية ، وفي ثلاثة وثلاثين الف بيت ، وسماها « أوديسيوس » ـ وهو اسم بطل الأوديسية في ملحمة هوميروس المعروفة ، والرجل الذي تتصارع في نفسه الرحمة والقسوة ، والدهاء والصراحة ، والشهوة والزهد ، والوداعة والكبرياء ، والعظمة والبساطة . . فاتخذ منه قناعا بطلا مصريا لرحلاته في أوربية ـ حيث يصطدم بنماذج شتى من الناس ، منها ما يمثل فلسفة اللذة ، ومنها ما يمثل فلسفة الزهد ، ومنها ما يمثل دون كيشوت ، أو بودا أو المسيح ـ والرحالة يصغي الى فلسفاتهم جميعا ، ويناقلها ويرفضها جميعا ـ على طريقة برنارد شو في قصته « القناة السوداء تبحث عن الله » وعلى طريقة راكب البحر المتحول « أوديسيوس » بطل أوديسيه هوميروس ، وهو يصطدم في أسفاره بشتى متاهات العقل والعقيدة والتقاليد . ويصف الناقد الفرنسي ميراميل هذه الملحمة المصرية الموضوعة في قالب أسطورة قديمة بأنها « تصور القلق الميتافيزيقي الناجم عن التجربة القلقة التي تقود العالم الحديث في طموحه الى العلا ، لا عن طريق الطقوس والتقاليد ولكن بمجهود الانسان الذي يبحث عن السعادة في معرفة الله ، فهي تعالج عودة الروح ، وعودة الخلاص ، وسط الخطر الذي تقع فيه الصلويات ، وبحث الانسان عنها بلا انقطاع ـ انها أسطورة جديدة قادرة على أن تعطي العالم معنى عصريا جديدا . . » .

وكان كزنزاكيس قد صور حياته الفكرية والفكرية في « خطاب الى الجريكو » . . ثم كان آخر ما نشره مقالة نشرت بعد وفاته ـ عام ١٩٥٩ ـ بأمريكا في كتاب عنوانه « الايمان » مع مقالات لكتاب آخرين ـ جاء فيها :

« كان صراع نفساتي منذ مطلع حياتي ، هو الصراع الذي كان يشتت في نفسي بين روحي وجسدي . ولقد دام هذا الصراع سنوات طوالا ، حربت فيه شتى الوسائل كي أخلص نفسي ، وفي يأس ذهبت الى جبل « آثوس » ورهبت في صومعة عدة أشهر ودربت جسدي على الحرمان والجوع والعطش . . وفي ذات ليلة رأيت الخط الأحمر الذي تخلف وراء محارب يصعد الى الجبل ـ آثار أقدام حمراء خارجة من الحياة الى الروح . . وعرفت وأحسست وهو أن أسير وراء هذا المحارب المكافح . . وأصبحت حرا ـ ولم أعبر الدنيا ، ولكني غيرت النظرة التي أتطلع بها الى الناس . . » .